موارد الطعام

في بلدان القارة الأوربية

وتأثير قلتها في صحة السكان

يقصد ببلدان القارة الأوربية تلك البلدان الواقعة الى الغرب من روسيا الكبرى ، والى الشمال من البحر المتوسط ، والى الشرق من المحيط الأطلسي ، والى الجنوب من البحر القطبي الشمالي . أما روسيا السوفياتية الكبرى فتشمل استونيا ولتفيا ولتوانيا وبسارابيا وتدخل فنلندا في نطاقها . وليست المملكة المتحدة (أي انكلترا واسكتلندا وويلس وشمال ارلندا) بداخلة في نطاق بلدان القارة الأوربية لأنها تستطيع ان تحصل بسائر بلدان العالم فتستورد منها ما تحتاج اليه

ليس بين البلدان الواقعة الى الشمال من جبال الألب بلدان باقية على الحياد الا سويسرا والسويد . ومن المسلم به ان سويسرا واسبانيا والسويد والبرتغال تستورد من الخارج مقادير معينة من موارد الطعام بسماح من رجال الحصر البحري البريطاني

من المرجح ان عدد سكان بلدان القارة الأوربية — بالتعريف الذي تقدم — يتفاوت بين ٣١٠ ملايين و ٣٢٠ مليوناً . فالمسألة التي تتجه اليها الأنظار في ما يتعلق بموارد طعامهم هي هذه: هل تستطيع هذه الشعوب ان تتغذى بما تنتجه ارضها من موارد الطعام بغير ان تتعرض لتأثير الجوع أو القلة في صحتها ومعدل انتشار المرض ومتوسط الوفيات فيها ؟ وهي مسألة معقدة ويزيد في تعقيدها ضرورة التحول من أكل مواد تعوّد الناس أكلها الى أخرى لم يتعودوها . فتأثير القلة والتحول من مواد الى أخرى لا يظهر حالاً وانما هو تأثير متجمع قد يبقى كامناً ثم تبدو عواقبه فجأة . وموارد الطعام تنقسم الى طوائف أهمها أربع

أولاً — الحبوب اللازمة للخبز

ثانياً — الحبوب اللازمة للعلف

ثالثاً — الحبوب التي تستخرج منها الأدهان

رابعاً — ما يستخرج من البحر

إن بلدان القارة الأوربية تصلح لانتاج حبوب الطائفة الأولى . وفي العهد الأخير طبقت

بعض البلدان على اختيار أصلح الحبوب لأصلح الأراضي. فحبوب الشوفان أو الزبير (oats) تزرع في البلدان الشمالية التي لا تنتج الأنواع أخرى من الحبوب، والجويدار (rye) يزرع في البلدان التي ترتها ضيقة. والحنطة تزرع في معظم البلدان والذرة في كل مكان تقريباً الى الجنوب من جبال الألب. وقد اتسع نطاق زراعة الحنطة منذ الحرب العالمية الأولى. فالمساحة التي تزرع حنطة الآن تزيد عشرة ملايين فدان (ايكر) على المساحة التي كانت تزرع به قبل الحرب العالمية الأولى. وهذا الاتساع في المساحة المزروعة بالاضافة الى اختيار الاصناف الغزيرة الانتاج واستعمال الأسمدة زاد المحصول المحتمل. فالمحصول الجيد او المعتدل في بدء العقد الرابع من هذا القرن كان يفوق ما يقابله في بدء العقد الثالث بنحو مئات الملايين من «البوشل». ولكن زيادة محصول الشوفان كانت أقل. وقد هبط ما تستورده بلدان القارة الأوربية في العقد الأخير من السنين من حبوب الخبز وفقاً لزيادة محصولاتها. فكانت هذه البلدان في العقد الثالث من هذا القرن تستورد اكثر من ٤٠٠ مليون بوشل من الحنطة عندما يكون محصولها معتدلاً فهبط ما كانت تستورده كل سنة في العقد الرابع الى ٢٠٠ مليون بوشل. ومع ذلك فليس في البلدان التابعة للمحور الآن من يزعم أن توسيع نطاق الانتاج في هذه الطائفة من الحبوب يستطاع لكفاية الحاجة، مع انهُ يجوز ان يجود المحصول في سنة ما فيسدُّ حاجة تلك السنة

بين البلدان التي يفيض ما تنتجهُ من الحنطة على ما تستهلكه، هنغاريا ويوجوسلافيا ورومانيا وبلغاريا. ولا يحتمل، وحالة القارة الأوربية هي ما هي، من القلق والاضطراب، ان تتمكن هذه البلدان من زيادة محصولها من حبوب الخبز زيادة تسد النقص الناشيء عن منع الاستيراد وهو يتفاوت من ١٦٠ الى ٢٠٠ مليون بوشل على المعدَّل في السنة في العهد الأخير. وعلاوة على هذا ان محصول الحنطة في سنة ١٩٤٠ كان أقلَّ من محصول سنة ١٩٣٩ أو محصول ١٩٣٨ بل أقلَّ من المعدَّل والمرجح انهُ كان من أقلّ المحاصيل التي عرفت في أوربا بعد سنة ١٩٢٠ وأسبابهُ شدَّة برد الشتاء وفيضانات الربيع والاضطرابات الناشئة عن الحرب في بولندا وهولندا وبلجيك

ويضاف الى ما تقدَّم أن عقبات النقل الناشئة عن أحوال الحرب، تجعل توزيع المحصولات وفقاً للحاجة صعباً. ولا يخفى ان من طبائع المرء ولا سيما الفلاح، ميلهُ الى اخفاء محصوله وأعماله في أثناء الحرب. وينشط الى الاخفاء والتخزين اذا كانت الاسعار لا توافقهُ او كان نقل ما يشتري منهُ صعباً او متعذراً. وقد تكون المصادرة بواسطة رجال الشرطة أو الجيش سهلة اذا كان في الوسع نقل المقادير المصادرة فوراً. ولكن المصادرة نفسها تفسد عملاً شاقاً اذا كان النقل صعباً، وعلى هذا بلدان الدانوب. فاذا ارغم الفلاحون على قبول بضائع قد لا يكون بهم حاجة كبيرة اليها بدلاً من النقد ثمناً لمحصولهم، تحرَّك فيهم روح المقاومة. وهذه العوامل جعلت توزيع محصولات بلدان

الدانوب عسيراً في بضع السنوات الأخيرة ، والصادرة متعذرة الا إذا عمد إلى الإرهاب

ولذلك يلوح ان استمرار الحصر ، ومصاعب انتقال في البلدان نفسها وبينها ، سيفضي الى نقص جراية الدقيق اللازم للخبز . والاوربيون يكثرون من اكل الخبز (المعدل ٥ بوشل من دقيق الحنطة و٢ بوشل من الجويدار للفرد) . ولا بدَّ ان يفضي هذا الى الشعور بالنقص إلاّ اذا عوضت الوحدات الحرارية المستمدَّة من الخبز بزيادة نصيب كل فرد من البطاطس والسكر والأدهان والخضر . وحبوب الخبز لازمة لحفظ وزن الجسم ونشاطه ، فاذا قلّت وطال مدى قلتها أفضى ذلك الى نقص الوزن والهزال . ومع ذلك فان نقصها اقلُّ ضرراً بالجسم من نقص الالبان والأدهان

أما الطائفة الثانية فهي حبوب العلف . وقد زاد اعتماد اوربا رويداً رويداً على استيراد هذه الحبوب من الخارج . وهي تشمل الذرَّة والجويدار والشعير والشوفان . حتى حبوب الخبز المستوردة يستعمل جانبٌ منها في العلف بمقدار ٣٠ في المائة . والغرض الأول من هذه الحبوب جميعاً هو علف المواشي لفوز الناس من لحمها بما يحتاجون اليه من مواد زلالية ونشوية . والمسألة الأساسية هي هذه — ما مدى الربح الذي تفوز به البلاد باستيراد مواد العلف وتحوّلها في جسم المواشي الى لحم وشحم ؟ إن المقابلة طبعاً يجب ان تكون بين مقدار المواد الزلالية والنشوية في الحبوب المستوردة ومقدارها في لحم الحيوان الذي يعلف بها . الربح مؤكد لاريب فيه ولكن من الحيوانات ما هو اقدر من غيره على تحويل العلف لحماً وشحماً . والخنازير تفوق الابقار في هذا . فاذا كان لديك مقدار معين من العلف فان الخنازير التي تأكله تولد لحماً وشحماً فيهما من المواد الزلالية والنشوية مقدار اكبر من مقدارها في اللحم الذي تولده الابقار التي تأكل العلف نفسه . ولكن قتل الأبقار واستبقاء الخنازير تطبيقاً لهذه القاعدة يثير مقاومة الفلاحين ، والتطبيق بالحكم يحتاج الى حماية منتجات الحقول بقوات كبيرة من رجال الدرك . ولقد كانت الدنمارك وهولندا من البلدان التي تنتج مقادير كبيرة من الصعام بتربية الدجاج والمواشي والخنازير ، ولكن هذه التربية كانت معتمدة اعتماداً كبيراً على استيراد العلف من الخارج ، فانتفاع المانيا بموارد الطعام فيها كان محدوداً بحدود الزمن والقدرة على توفير العلف . واحتلال هذين البلدين ، قطع عن بريطانيا ما كانت تستورده منها من بيض وزبد ولحم ودهن فاضطرت أن تستوردها من بلدان بعيدة مثل كندا واستراليا والارجنتين وغيرها

والطائفة الثالثة تشمل الحبوب التي يعصر منها الدهن . فالتربة والجو في اوربا أقل ملاءمة لزراعة هذه الحبوب منها لزراعة حبوب الخبز . ولذلك غدت اوربا تعتمد اعتماداً كبيراً ، يكاد يكون تامًّا على استيراد ما تحتاج اليه من هذه المواد . فهي تستورد جوز الهند ، وبذور القطن

والفول، وبذور الكتان، وفول الصويا وغيرها كما تستورد ما يستخرج منها من الأدهان كذلك. ثم انها تستورد مقادير كبيرة من شحم الحيوان مثل شحم الخنزير والودك ودهن البال وغيره من أدهان الحيوانات البحرية والزبد. وكانت تستورد أيضاً كذلك لتنتفع بلحمها وشحمها

إن طائفة كبيرة من بلدان اوربا الغربية كانت زراعتها لتربية الانعام وهي تعلف بالعشب المحلي وما يستورد من الخارج من حبوب وكسب. وأبلغ دليل على ذلك انهُ عند ما احتلت المانيا الدنمارك وهولندا وبلجيكا هبط فيها معدَّل تربية المواشي والدجاج لقلة العلف المتاح. وهذا النقص لا بدَّ ان يتبعهُ نقص في معدَّل اللحم المتاح للطعام. وليس ثمة ريب في ان اعتماد غرب اوربا على استيراد هذه الطائفة من مواد الغذاء والعلف كبير جدًّا

ولا يقتصر استعمال الدهن على أكله بل هو يدخل في صنع الصابون والمواد المفرقعة. وفي الوسع صنع الجليسرين للمفرقعات والاحماض الدهنية للصابون بالتركيب الكيميائي. ولكن التقدم في هذه الصناعة لا يبيح القول بأنها كافية لتعويض ما يستورد كله. ولا يعلم الآن مبلغ ما يستعمل من أدهان الطعام في صناعة المفرقعات ولكنهُ لا بدَّ ان يكون كبيراً

ونقص المستورد من العلف يفضي الى نقص اللبن وهذا يفضي بدوره الى مشكلات صحية أهمها يتعلَّق بصحة الأطفال، لأن اللبن يحتوي معادن وزلاليات وڤيتامين ﺟ. وهي مواد قلما يسهل تعويضها ما زال هناك نقص في مواد الغذاء الأخرى. ان حبوب العلف التي كانت اوربا تستورده كانت تستعمل لانتاج الزبد من البقر، والمرجرين من المصانع. فقطع هذا الوارد يفضي الى نقص المتاح من اللبن، والى نقص الدهن النباتي اللازم في الصناعات

ثم ان نقص الدهن يحوّل الطعام تافهاً لا يسيغهُ الآكل. وهذا ثابت من طبق كان الالمان يقبلون عليه وهو طبق « الشوركروت » وكانوا يظنون ان اقبالهم عليه مردهُ الى كون « الشوركروت » من الكرنب فتيقنوا في الحرب العالمية الماضية عند ما قلت الأدهان، ان سر اقبالهم هو حمضهُ اللذيذ الناشيء عن الدهن المضاف اليه. والدهن في اوربا سرٌّ من اسرار الطهي الجيد، وهو يدخل في جميع اصناف الطعام من الحلوى واللحوم والخضر

وليس فائدة الدهن المقدمة هي تجهيزه الجسم بالحرارة اللازمة للنشاط الجسماني. فاذا لم يتح للجسم هذا المصدر من الحرارة، وعجز عن تعويضهِ من مصادر أخرى بزيادة ما يؤكل من المواد النشوية، نقص وزن الجسم ومال الى الهزال. ويقال ان محصول البطاطس وبنجر السكر كان كبيراً في اوربا في السنة الماضية، فاذا اضيفت اليه الانعام التي لا بدَّ من ذبحها لقلة العلف، فان الاوربيين قد يجدون عوضاً وقتيًّا من نقص الدهن المستورد. ولا يحتمل أن يشتد الشعور بنقص الدهن الا في خلال النصف الأول من سنة ١٩٤١

والطائفة الرئيسة حيوان البحر. ان صيد السمك صناعة ذات منزلة عالية في تغذية أوربا من سواحل نروج الشمالية الى جبل طارق، يذهب الصيادون الاوربيون في سفنهم الى سواحل اسلندة وبوتلندة وجزائر الهند الغربية. ولصيد السمك في البحر المتوسط وبحر قزوين والبحر الاسود شأن كبير كذلك. وقد اتسع نطاق صيد السمك بعد الحرب العالمية الاولى فبلغ اعتماد اوربا على دهنه مبلغاً كبيراً

كان مردُّ الاهتمام بأكل السمك في اوربا سابقاً الى اعتباره عوضاً من اللحم. ولكن العلم الحديث ابان ان أكل السمك لهُ فائدة خاصة لأنهُ يجهز الجسم باليود وفيتامني A و D. وهذان الفيتامينان يذوبان في الدهن ونجدهما منتشرين في جسم السمك، ولكنهما يتركزان على وجه خاص في كبد السمك، وهما قليلان في سائر مواد الطعام. وعجز الصيادين عن النهوض بعملهم في بحار مزروعة بالألغام، وتميث فيها النفوسات والطائرات، سيحمّل سكان أوربا عبئاً غذائيًّا كبيراً لأن نقص صيد السمك يحرمهم دهن السمك الذي يجهزهم بالحرارة، وأهم من ذلك يحرمهم ما في السمك من فيتامني A و D اللذين يذوبان في الدهن. ونقص هذين الفيتامينين لا يستطاع تعويضهُ من مواد الطعام النباتية في أوربا الآن، ولا بدَّ ان يفضي الى أمراض سوء التغذية وبخاصة في الطبقات الفقيرة، ومن عواقب الحرب العالمية الأولى، ان منع السمك عن سكان أوربا المتوسطة كالمانيا وتعذر الحصول على زيت السمك، أفضيا الى ارتفاع نسبة حوادث الكساح ارتفاعاً كبيراً. ولا يبعد، بل من المحتمل، ان تكون العواقب واحدة في هذه الحرب. ومما هو جدير بالذكر ان أدهان او زيوت أكباد السمك، تصدر الآن من سواحل المحيط الهادىء الى بريطانيا لتحل محلَّ النقص الناشىء عن حالة الحرب في البحر الشمالي وشمال المحيط الأطلسي

نعم ان السمك ليس إلا أحد موارد فيتامين A لأنهُ موجود في اللبن والفواكه والخضر. ولكن السمك مورد كبير لهُ وفي بعض الانحاء مورد رئيسي. وتاريخ شمال أوربه يثبت انهُ اذا تعذر السمك واللبن، ففيتامين A المستخرج من الخضر والفواكه لا يكفي لتعويض النقص

وليس في الوسع الآن الاعتماد على التركيب الكيميائي لتعويض النقص في موارد هذين الفيتامينين. وقد يصحُّ الاعتماد على ضوء الشمس في تعويض بعض النقص في فيتامين D ولكن أوربا الواقعة الى الشمال من جبال الألب لا يصيبها قدر من الاشعة التي فوق البنفسجي يكفي لمنع الكساح. فاذا استندنا الى تاريخ أوربا الشمالية خلال القرن الماضي. وعلى وجه خاص الى نتائج الاختبار في أثناء الحرب العالمية الأولى وما تلاها، يجب أن ينتظر ازدياد حدوث اصابات بامراض نقص الغذاء في البلدان الواقعة الى الشمال من جبال الألب وبخاصة في الطبقات الفقيرة